الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تعليم اللغة برياسة الأساليب :

عقد مفتشو اللغة العربية مؤتمراً بكلية دار العلوم في الأسبوع الماضي برياسة سعيدهم الأستاذ مهدي علام ، ومن الموضوعات التي نظروا فيها موضوع دراسة قواعد اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية ؛ وقد انتهى المؤتمر في هذا الموضوع إلى أن تدرس اللغة العربية عن طريق اللغة نفسها نصوصها وأساليبها وتستخلص القواعد من هذه الأساليب من غير إسراف في الاصطلاحات النحوية المطولة . وقد عرض الفكرة على المؤتمر ، الأستاذ مهدي علام ، فلاقى معارضة شديدة في أول الأمر من لدن أنصار النحو والقواعد ، ولكنه ما زال يبين وجهة نظره ويدلل عليها حتى وافقه الجميع إلا واحداً ، وكان عند بدء عرضها لا يؤيده فيها غير واحد ..

وقبل أن أعقب على قرار المؤتمر أبسط الموضوع بعض البسط فأقول : إن الطريقة الطبيعية في تعلم اللغة هي سماع مفرداتها وتراكيبها والتمرن على محاكاتها بالتعبير على مثالها ، حتى تصبح القدرة على هذا التعبير ملكة يصدر عنها القلم واللسان ، أما القواعد فهي ضوابط يقصد منها التحرز من الخطأ في اللغة لا تعلم اللغة نفسها .

وقد وضعت القواعد أول ما وضعت لذلك الغرض ولكن المشتغلين بها تدرجوا فيها إلى أن صارت دراسة مقصودة لذاتها في العصور المتأخرة ، وهي العصور التي انحطت فيها اللغة وركت أساليبها ، ومن المشاهد المعروف أن النحويين على قدر مارعوا في صناعة النحو لحقهم العجز والضعف في ملكة التعبير والبيان ، على خلاف البلغاء من الكتاب والشعراء الذين لم يحصلوا من تلك الصناعة إلا القدر الضروري لضبط ما يقولون ويكتبون .

وقد رأينا في عهد التدلم معلمين يتوكؤون على الإعراب حتى في غير دروس القواعد ، فإذا عرض أحدهم لبيت من الشعر مثلا شغل بأوجه الإعراب في ألفاظه عن وجه الجمال السافر فيه ، وكان لنا أستاذ ألف كتاباً سماه « ترويق الجو بتحقيق لو » ثم كان من فضل الله أن ضاع منه أصل هذا الكتاب قبل أن يدفعه إلى المطبعة فراق الجو بفقده ولم يكن من المنتظر أن يروق بتحقيق لو .. وكم رأينا مدرسين يحولون دروس المطالعة والأدب إلى نحو وصرف لأنهما المجال الذي يحسنون الكلام فيه . وإن ناقشت هؤلاء في جدوى كثير من التفصيلات النحوية التي يخوضون فيها ، قالوا : إنها رياضة ذهنية . أوليس من العبث أن تنفق الجهود والأوقات في هذه الرياضة الذهنية العقيم ، في هذا العصر الذي تعددت حاجاته إلى أنواع المعرفة ؟

ولا تزال مناهج المدارس في اللغة العربية مثقلة بهذا النحو ، وخاصة في المدارس الابتدائية التي يبدأ فيها التلميذ تعرف اللغة العربية ، فالطالب في السنة الثانية مكلف أن يعرف الفاعل والمفعول به والمبتدأ والخبر ، ومطالب بتكوين جمل تشتمل على مضاف إليه خبر ، ومضاف مبتدأ ، ومنعوت مفعول به — الخ ، وهو لم يتصور بعد هذه اللغة التي يطلب منه أن يحللها ويفهم مصطلحات قواعدها

ولا بد أن نذكر إلى جانب ذلك حقيقة بديهية مفهومة ، وهي أن اللغة العربية الفصيحة ليست لغة البيت والمجتمع الآن ، فلا بد إذن من ضوابط تعصم من الخطأ فيها ؛ ولنفرض أننا فرغنا من تصفية هذا الخليط من القواعد ومصطلحاتها وغربلته ، حتى حصلنا على القدر اليسير النافع منه ، فكيف ومتى يتملكه الناشيء ؟ وهنا نصل إلى ما قرره مؤتمر مقتشي اللغة العربية ، وهو دراسة الأساليب واستخلاص القواعد منها ، وأقرر أولا أنه لا جدال في ضرورة الإكثار من المطالعة بأنواعها مع التشويق إليها والإكثار من التمرن على التعبير شفوياً وتحريرياً . ثم أسأل ما المقصود باستخلاص القواعد من الأساليب ؟ هل هو أن يبدأ بتعليم القواعد على طريقة الإتيان بأمثلة كثيرة واستنتاج القاعدة منها ؟ أو المقصود أن يترك الناشيء سنوات يسمع فيها اللغة ويقرؤها ويعالج التعبير بها ، بحيث يدركها إدراكا كلياً ، وبحيث يشعر بالحاجة إلى ضوابط لها ؟ وعند ذاك تقفز فرصة تشوقه إلى

الضوابط ، فيعرّف بها بطريقة سهلة ميسرة ؟

أما الطريقة الأولى فهي التبعة الآن ، وهي طريقة لموجة ، لأن التلميذ لا يكاد يبدأ في تذوق اللغة حتى يصدم بالقاعدة والمصطلحات ، والمأمول أن تعد المناهج الجديدة وفق الطريقة الثانية ليتحقق المنشود من دراسة الأساليب واكتساب ملكة اللغة من نفس اللغة .

فابوسي ليلة :

هو فلم « حلم ليلة » الذي عرض في هذا الأسبوع لأول مرة بسينما أوبرا ، وهو من تأليف وإخراج « وجه جديد » في الإخراج بمصر هو صلاح بدرخان ، وبطلاه أيضاً وجهان جديدان هما وجيه بدرخان ونور الصباح ، واشترك في التمثيل من الممثلين المعروفين بشارة واكيم ومنسى فهمي .

آدم (بشارة واكيم) تاجر قماش شامي بمصر ، يحتال عليه امرأة من بنات البلد ، فتأخذ منه بضاعة وتتزيه بأن يصحبها على أن تحضر له الثمن من زوجها الطبيب ، وتنقل منه في عيادة الطبيب الذي ادعت أنه زوجها بعد أن أدخلت على الطبيب أن زوجها تاجر القماش مجنون ، فيفحصه ويدفع به إلى مستشفى المجانين ، ثم يهرب آدم من المستشفى ويعود ليستأنف عمله . وفي أثناء ذلك يتوجه ابن أخته نبيل (وجيه بدرخان) إلى عيادة الطبيب ليخاطبه في أمر خاله ، وهناك يسمع غناء ، فينظر من نافذة بسور الحديقة ، فيرى بنت الطبيب نجاح (نور الصباح) تغني ومعها فتيات يرقصن . ثم يدخل من الباب ويلتقي بنجاح ويقول لها إنه موسيقار ، وقد سمع صوتها فأعجب به ، فتستصحبه إلى مليجان في الحديقة حيث يعزف لحناً ، وبعد ذلك يصير معلماً لها في الموسيقى ، ويتجرم به رشاد ابن عم نجاح ، ويحاول أن يحقره أمام نجاح فتنهره ، وينشأ حب بين نجاح ونبيل ، ويفاجئهما أبوها في وضع غرامي فيغضب ويطرد الموسيقار العاشق . ويحاول رشاد أن يكسب ود نجاح ويخطبها إلى أبيها ولكنها تعرض عنه وترفض خطبته ، فيخرج ساخطاً ، ثم يلجأ إلى الانتقام فيسرق خزانة عمه ويدبه على ابنة عمه ليلا ، ويعرض عليه المجانين في المستشفى فيعتدون عليه اعتداء يذهب ببصره ، ثم يختفي لدى قبيلة من الأعراب . ويتوجه نبيل هو وخاله إلى الطبيب ،

شكوى الأسبوع

□ وافق مجلس الوزراء في اجتماعه الأخير على أن ينشأ في القاهرة معهد للدراسات العليا الخاصة بالسودان باسم « معهد السودان » على أن يكون ملحقاً بجامعة فؤاد الأول مستقلا عن كلياتها ، ويكون طلابه من خريجي كليات الجامعة وما يعادلها .

□ أصدر معالي وزير المعارف أمراً بتأليف لجنة يرأسها الأستاذ محمد شفيق غربال بك وكيل الوزارة ، لدراسة موضوع عقد مؤتمر لحضارات دول البحر الأبيض المتوسط باعتبارها أساس الحضارة الإنسانية . وأهم مشروعات هذا المؤتمر إنشاء معهد في كل دولة من تلك الدول لدراسة حضارتها دراسة عالية .

□ جاء في بعض الأنباء أن القوات الأمريكية بألمانيا تحتفظ برأس غرغين ولا تريد أن تعيده إلى مصر لأن الرئيس ترومان قد أقسم به ... وقد صب هذا الرأس لمنة القراعنة على رأس هتلر ، فليعلم ترومان هذا الغرام !

□ يقام بباريس في سبتمبر القادم معرض « مصر — فرنسا » تعرض فيه أعمال فنية مصرية ، وتعتزم مصلحة الآثار أن تبعث برأس أخناتون إلى هذا المعرض ، فهل تأمن الغرام الفرنسي على هذا الرأس ؟ أقترح على مصلحة الآثار المصرية أن تؤمن على كل تمثال مصري ضد « الغرام » الأجنبي

□ مما نظر فيه مؤتمر مقتفي اللغة العربية ، موضوع الإنتاج الأدبي للمدرسين ، وقد حدده المؤتمر بأنه ما يضيفه المدرس — خارج النطاق المدرسي — إلى الإنتاج الأدبي العام ، ورأى أن يكون الإنتاج العلمي من أسباب ترقية صاحبه وتقديمه في الوظائف الأدبية والثقافية .

□ عهدت وزارة المعارف إلى الأستاذ زكي طليمات أن يقوم بدراسة فن الإخراج في الهواء الطلق ، وهو الآن بإيطاليا يتنقل بهذه الدراسة . هذا وقد رفض أخيراً اعتماد إنشاء مسرح صيفي في القاهرة ، فهل يطيق الأستاذ طليمات ذلك القلق — بعد عوده — في صحراء الإمام أو فوق تلال زينهم ؟

□ لا يسعني — بعد أن قرأت قصيدة « طمأنينة العباء » للآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان ، في العدد الماضي من الرسالة — إلا أن أقول : إيه يا فدوى !

□ يجتمع المؤتمر العام لهيئة اليونسكو بباريس في التاسع عشر من شهر نوفمبر القادم ، ويستمر إلى أول أكتوبر الذي يليه . ومن المسائل المدرجة في جدول أعماله مسألة المساعدة الفنية للبلاد التي لم تتوافر لها الأسباب لاستغلال مواردها .

□ كتبت اليونسكو إلى وزارة المعارف تقترح إيفاد أحد الطلبة المصريين المتخصص في دراسة الآثار والمتاحف والمسارح لمدة ستة أشهر بمتحف اللوفر بباريس على نفقة اليونسكو ، وذلك توكيداً لاتصال تلك الهيئة بثقافات الشرق الأوسط .

فيتوددان إليه ويخطب آدم نجاح لابن أخته نبيل فيرحب بهما أبوها الطبيب . ويجد نبيل وخاله آدم في البحث عن رشاد حتى يعثرا عليه في البادية ، فيفر ويلحقان به ومعهما بعض الأعراب ، فيقتلونه ، ويعود نبيل بالنبأ إلى مخطوبته ووالدها الفرير الذي يسر ويضمهما إلى صدره ، ولا بد أن يعود إليه بصره في هذا المنظر الأخير ...

والقصة كما تراها فارغة لا غاية لها ، وقد حشيت مناظر قصد بها الإضحاك ، ولكن المضحك حقاً هو نفس الحوادث الجدية فيها

فمثلا هذا الشاب (نبيل) البطل المحبوب الذي يفترض فيه « النبل » يقف ليختلس النظر إلى عورات الناس من النوافذ . . وما يكاد يدخل حتى تلتقطه الفتاة وفي منتهى السرعة والسهولة يصير لها معلماً ويأتي أبوها توّاً ويسأل عن هذا (الأفندي الغريب) ويوافق في الحال !

ولا أدري لماذا أباحت نجاح لنفسها أن تشتم ابن عمها وتهينه عند ما أراد أن يخطبها ولم تظهر لنا الحوادث قبل ذلك أن شيئاً بدر منه يستحق عليه هذه الشتيمة التي لا تليق ببطلة الفلم ، والغريب أن ما ارتكبه من الحوادث يأتي بعد ذلك ، فكأنها كانت تؤنبه مقدماً ! وكان منظر دبيب رشاد إلى ابنة عمه داعياً إلى الاشمئزاز وكان يمكن أن ترتبط الحوادث دون الوقوع في هذه الزلة . وكانت خاتمة الأضاحيك هي ختام القصة بذلك المنظر الذي عاد فيه البصر إلى الرجل لأنه سر بقتل ابن أخيه المجرم وزواج ابنته من حبيبها ، وهي طريقة فريدة في علاج العمى واسترداد النظر ، جديرة بأن يلتفت إليها أطباء العيون أو بأن يستغني بها الناس عنهم .

وأخلص بعد ذلك إلى ثلاثة عناصر حشي بها الفلم بقصد التسلية والإمتاع أو قل لملء فراغه من القيمة الموضوعية ، تلك العناصر هي : روعة المناظر ، والحوادث المضحكة ، ثم الرقص والغناء . من الأول منظر البدو في الصحراء وعدو الخيل ومطاردة الفرسان ، عند ما عثر على الجاني هناك . ولا تدري لم اختفى الجاني ولجأ إلى تلك القبيلة ولم يصدر أمر بالقبض عليه ولم يجر أي إجراء لمحاكمته ، ولكن الرغبة في عرض المنظر نفسه جعلت الأعراب مكان الشرطة ، وجعلت الموسيقار الفنان يجيد الرماية ويطلق الرصاص على منافسه في الحب فيرديه قتيلا !

وأما المضحكات فقد أخذ لها في الفلم بشاره واكيم ومنسي فهمي ، ووضع الثاني في موضع رجل بخيل يقتر على زوجته ، فيحتال لها جارها آدم (بشارة) ويمثل للرجل الأشباح والأرواح ليفزعه ويهدده إن لم يوسع على زوجته وإن لم يذهب إلى (آدم) ويعطيه مقداراً كبيراً من المال ، وهذه الحادثة مثل مما ربط إلى القصة من غير حاجتها إليه ليضحك ، ولكنك ترى أنها أفسدت شخصية آدم إذ جعلته محتالا على أخذ مال الغير وهو ليس شريراً في القصة . ولم يكن بشارة واكيم واضح الدعابة ولا خفيف الظل في هذا الفلم ، ومن أسباب ذلك التواء لسانه وتكلفه تقليد اللهجة الشامية . أما منسي فهمي فكان متقناً لدوره ظريفاً إلى حد ما .

وتأتي بعد ذلك ثالثة الأثافي : الغناء والرقص ، وقد امتلأ الفلم بالغناء من البطلين نور الصباح ووجيه بدر خان ، وهو غناء متوسط الحال ، لا هو مطرب ولا هو مضحك ، ولكن تكراره والإكثار من مواقفه والانهماك فيه ، بلغت به درجة الطرف الثاني . ولا أريد أن أسترسل في وصف غناء هذين المطربين ، خشية أن تضمهما الإذاعة إلى مطربيها... وحسب الناس ما يلقون من هؤلاء . والحق أن الموسيقى كانت جيدة .

ومن تعمد مواقف الغناء والرقص أن آدم مر في طريقه وهو عارب من المستشفى بعرس فيه راقصة ومغن ، فتفرج عليه ومضى في طريقه .. ولم يكن لهذا العرس أية صلة بحوادث الفلم غير ذلك وهذه الراقصة هي الوحيدة التي ترقص في الفلم على أصول الفن ، أما بقية المناظر الراقصة فهي اجتهادية فطرية ، وقد أوحى اهتزاز الفتيات اللائي يرقصن في أحد المناظر إلى خيال مخرج (بلاليص) على عربة (كارو) تركت بلا ربط فراحت تتمايل على سرير السجلتين ووقع حوافر الحمار .

والوجهان الجديدان صالحان للتقدم في التمثيل ، ولكن ينبغي ألا يعتمدا كثيراً على الغناء .

عباس خضر